

الحضور الكافكاوي في النقد العربي

د. تكتك إكرام
جامعة أدرار



إن الحديث عن كافكا حديث لا ينتهي ما دامت نقطة الفصل في قراءة النص الكافكاوي لم توضع بعد، ومما يعزز ذلك هو أن بعض نصوص كافكا الأدبية وردت مقاطع، لم ييثر فيها كافكا ولم يقل كلمته الأخيرة. وإن كان يشك في كونه (كافكا) قد كتب نهايات لقصصه ورواياته لما كان من إقدامه على إحراق آخر ما كتب قبل موته، وربما كان ذلك سببا من أسباب جعلت النص الكافكاوي يفتح على مختلف القراءات على تباينها وتناقضها. إلا أن غنى النص الكافكاوي وثرائه و أكثر من ذلك تعقده، كل ذلك كان نفسا جديدا متجددا للدرس النقدي وسبيلا للحفاظ على مقروئية النص الكافكاوي.

فتعقد النص الكافكاوي وإغراقه في سريرية من نوع خاص قد يدفع بقارئه إلى معاودة قراءته أملا في فك شفرته.

الكلمات المفتاحية: النقد – الآخر – النص الكافكاوي – قراءة – العرب.

The presence of Kafka in the Arab criticism

Summary

The talk of Kafka is not an end, as long as the point of separation in the reading of the Kafka text has not yet been established, and this is reinforced by the fact that some of Kafka's literary texts contained passages in which Kafka did not broadcast and did not say his last word. If he doubted that he (Kafka) had written the end of his stories and novels

because of the burning of the last written before his death, and perhaps that was one of the reasons made the text Kafka open to different readings on the contrast and contradiction. However, the richness of the Kafka text and its richness and more complicated it all, it was a new breath of renewed critical study and a way to maintain the readability of the text Kafka.

Kafka text is held and immersed in a surrealism of a special kind that may prompt the reader to resume reading in the hope of deciphering his code.

key words: Criticism - the other - the text of Kafka - read - the Arabs.

مقدمة:

إن البحث في أدب كافكا إبحار في نتاجات أدباء الشتات. إنه بحث لا يخلو من مخاطر، فالكاتب ذو نفسية إنطوائية ناهيك عن أسلوبه في الكتابة والتميز والتلغيز، لذلك لا نستغرب أن تكون قراءة النص الكافكاوي عند النقاد تذهب من النقيض إلى النقيض، فأين هو كافكا من عالمنا العربي: ترجمة، دراسة، نقدًا وتأثيرًا؟ سنتناول هذه العناصر للحضور الكافكاوي واحدة فواحدة، في المستهل وقفنا نخصصها لحظ كافكا في مجال الترجمة إلى العربية.

أ- كافكا والترجمة:

ما يؤسف له عربيًا أن تقاليدنا في وضع الفهارس للمترجم من وإلى العربية لم تنتهج ما دأب عليه السلف الصالح من مثل "الفهرست" لـ "ابن النديم". فمكتباتنا - مراجع وفهارس وحتى خدمات - لا تسهل مهمة البحث. فالاتصال بالقيمين على

المكتبات العربية اتصال يكاد يكون كل مرة سلبيا، فالمراسلات¹ تظل بلا طائل والعودة إلى المكتنزات (الفهارس) هي الأخرى تشكو من أكثر من نقص.

نسجل هذه الملاحظة لا للتهرب من مسؤولياتنا في إدارة البحث بحثنا ولكن لنقرر حقيقة ألا ما أمرها لا يستشعرها إلا من اكتوى بنارها. فالمعلومات التي سنوردها ليست إلا معلومات قابلة للإثراء بل مؤكدا هي ناقصة لأنها محصلة جهد جهيد حاولناه بمفردنا نأمل أن يجد من يثريه ويغنيه إن مغربا فمشرقا.

العودة إلى مكتبات جزائرية موزعة في شعاع مدينة وهران مكتنتنا من الوقوف على ما سنورده موجزا في السطور التالية.

إذا كانت فترة الخمسينات هي فترة ازدهار بالنسبة لأدب كافكا سواء تعلق الأمر بألمانيا وما جاورها من الدول الناطقة باللغة الألمانية أو خص الدول الأوروبية الناطقة باللغة الألمانية أو خص الدول الأوروبية التي اهتمت بالنص الكافكاوي ترجمة ونقدا، فإن العالم العربي قد تأخر احتكاكه بأدب كافكا، حتى كانت بداية الاهتمام بالنص ترجمة أواسط الخمسينات مع أول ترجمة نص "Eine kleine Fran" (امرأة نحيلة) التي أصدرتها مجلة "النقاد" السورية²، تعقبها ترجمة "منير البعلبكي" لقصة "المسخ" Die Verwandlung، وربما كان لشهرة هذا النص بعض الأثر في اهتمام القارئ العربي بالكاتب كافكا في أول وهلة.

ولتعذر وجود بليوغرافيا الترجمات العربية للنص الكافكاوي، اضطررنا إلى الاكتفاء بقائمة الترجمات التي يوردها الدكتور عبده عبود في مؤلفه الخاص باستقبال القصة الألمانية عربيا، وما تمكنا من جمعه.

¹ - لقد قوبلت مراسلاتنا المتكررة إلى إدارة التوثيق والمعلومات -شخصية ورسمية- بالصمت.

² - د. عبود (عبده)، القصة الألمانية الحديثة في ضوء ترجمتها إلى العربية، دراسة نقدية ونصوص، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1996م، ص 94.

وقد تجدر الإشارة في هذا المقام إلى قرص الليزر لمنظمة UNESCO إصدار 1992م الخاص بترجمة أعمال كافكا، لا يشير من قريب أو بعيد إلى وجود ترجمات عربية قد خصت النص الكافكاوي وإن سبقت هذه الترجمات ظهور ذلك العمل التوثيقي الضخم.

كما نسجل على الدكتور عبده عبود اعتذاره لعدم تمكنه الإحاطة بكل الترجمات التي تقام بمختلف أقطار العالم العربي، وبذلك تكون هذه القائمة التي سنوردها تراثاً هزيباً إذا قورن بالفترة الممتدة بين 1954م -تاريخ أول ترجمة- و1994م، تاريخ آخر ترجمة ذكرها الدكتور عبده عبود في مؤلفه سابق الذكر. وفيما يلي عرض لما امكن لنا رصده من ترجمات عربية مرتبة حسب سنة صدورها:

- كافكا (فرانز)، المرأة النحيلة، مجلة النقاد، دمشق، ع 30، س 5، 1954م.
- كافكا (فرانز)، المسخ، تر: منير البعلبكي، مكتبة النهضة، بغداد، 1957م.
- كافكا (فرانز)، القصر، تر: مصطفى ماهر، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1957م.
- كافكا (فرانز)، القضية، تر: مصطفى ماهر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968م، بيروت.
- كافكا (فرانز)، أمريكا، تر: فهمي الدسوقي، دار الهلال، القاهرة، 1970م.
- كافكا (فرانز)، المحاكمة، تر: جرجس منسي، دار الكتاب الجديد، القاهرة، 1970م.
- كافكا (فرانز)، أربع قصص مترجمة، تر: علي ضياء الدين، المتحف العربي، بغداد، س 2، ع 12، 1971م.

- كافكا (فرانز)، بنات آوى وعرب، تر: د. فيصل دراج، محمود موعد، الموقف الأدبي، دمشق، ع 6، 1974م.
- كافكا (فرانز)، في معبدنا، تر: أكرم فاضل، الأديب المعاصر، ع 16، 1976م.
- كافكا (فرانز)، الصيد كريكاس، تر: رياض داود، الطليعة الأدبية، س 2، ع 2، 1977م.
- كافكا (فرانز)، مستوطنة العقاب، تر: سعيد الحكيم، الأقلام، بغداد، س 16، ع 9، 1979م.
- كافكا (فرانز)، المحاكمة، تر: إبراهيم العرسي، دار الطليعة، بيروت، 1981م.
- كافكا (فرانز)، بنات آوى وعرب، تر: صلاح حاتم، المعرفة، بيروت، 1982م.
- كافكا (فرانز)، سور الصين، تر: سامي الجندي، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، 1982م.
- كافكا (فرانز)، وصف المعركة، تر: د. سامي الجندي، آفاق عربية، بغداد، ع 11-12، 1982م.
- كافكا (فرانز)، تحريات كلب، تر: بديعة أمين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1983م.
- كافكا (فرانز)، الجحر، تر: بديعة أمين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1983م.
- كافكا (فرانز)، تحريات كلب، تر: كامل يوسف حسين، دار ابن خلدون، بيروت، 1986م.
- كافكا (فرانز)، القضية، تر: ماهر مصطفى، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1988م.

- كافكا (فرانز)، بنات آوى وعرب - حلم، تر: إلياس حنا إلياس، الكرمل، تونس، ع 26، 1988م.
- كافكا (فرانز)، التحول، تر، وتق: نبيل فياض، دار المنارة، اللاذقية، 1990م.
- كافكا (فرانز)، في مستوطنة العقاب، تر: زكي الأسطة، دار الحوار، اللاذقية، 1991م.
- كافكا (فرانز)، العائد، تر: محمد الظاهر، الجيل، كانون الثاني-يناير، 1991م.
- كافكا (فرانز)، على الجسر، تر: محمد الظاهر، الجيل، كانون الثاني-يناير، 1991م.
- كافكا (فرانز)، الحكم، تر: إبراهيم وطفى، دمشق، 1994م.
- كافكا (فرانز)، رسائل كافكا إلى فليس باور، تر: محمد ابو حضور، دار النمير، دمشق، 1999م.
- كافكا (فرانز)، رسالة إلى الوالد، تر: إبراهيم وطفى، دمشق، (د.ت).

وإذا كان اهتمام القارئ بالنص الكافكاوي اهتمام المكتشف للنص الأدبي الأجنبي، ففترة السبعينات وما تلاها من أحداث أعطت نكهة جديدة للنص الكافكاوي وكشفت وجهها كان خفياً، مما أنتج اهتماماً متزايداً نسبياً، فتشهد بذلك السنوات المتقدمة إصدار ترجمات لنصوص جديدة تعتبر مصدر جدال ومجال قراءات متناقضة، وتقرن ترجمة أعمال كافكا في الوطن العربي بأسماء عرفت بمواقف اتجاه المكتوب الكافكاوي: مثل بديعة أمين التي قامت بترجمة قصتي "تحريات كلب" و"الحجر"، واللّتين صدرتا في ملحق كتاب نقدي "هل ينبغي إحراق كافكا؟".

ومما يستوقف المرء عند مراجعة نتاج كافكا الأدبي ورود قصة أول ما يلفت الانتباه إليها، قبل تصفح محتواها، عنوان يحمل ثنائية اعتبر العربي أحد طرفين فيها.

قصة "بنات آوى وعرب" تطرح مختلف التأويلات والتي لا تبقي مجالاً لتغاضي الطرف عن صاحبها وعن المكتوب الكافكاوي: نصا كان أم دراسة أو يوميات ورسائل، فوجود نص يخص العرب، موقع باسم شخصية أدبية مثل "فرانتس كافكا" الذي يعتبر حتى يومنا هذا مصدر تأويلات وتساؤلات متضاربة، يعتبر حافزا لحشد الأقلام العربية ترجمة ونقداً.

ولربما النزر القليل اليسير من الاهتمام نالقيه عند نقاد اهتمامهم غالباً بالآخر هو اهتمام باحث دائم الاستشراق والتتبع للحديد والحاصل في حارة الأدب الأجنبي، فلا غرور إذن أن نحصل على بعض النقادات عند هؤلاء الصنف من المثقفين وهو ما سنعرض له في الفقرة التالية.

ب- كافكا والدراسات النقدية العربية:

إذا كانت حركة الترجمة إلى اللغة العربية لم تمس النص الكافكاوي إلا فترة متأخرة -مقارنة بذيوع الصيت الذي بلغه الأديب كافكا وكتابات الأدبية وأسلوبه المتميز الذي اعتبر ثورة في عالم الرواية- فلا غرابة في أن يتأخر اهتمام الدارس النقدي بالمكتوب الكافكاوي حيث لا تعد الدراسات العربية التي تناولت كافكا بالدرس - والتي لا يجب أن نغفل عن الإشارة إلى أنها ليست مجرداً لكل الدراسات وانتفاء عمل بلوغرافي منسق بين الدول سواء خص الترجمة أو النقد- لذلك سنكتفي بمعالجة ما توفر لدينا من دراسات وبحوث.

بدءاً، نسجل على الدراسات القليلة التي كان لنا حظ اقتنائها، أنها كانت رد فعل للصراع العربي-الإسرائيلي حيث اعتبر كافكا طرفاً في النزاع بعد توجيه أدبه توجيهاً دينياً، وتأخذ عندها قصتي "بنات آوى وعرب" و"في مستوطنة العقاب" صدارة اهتمام الدارس العربي. فقصة "بنات آوى وعرب" تترجم على التوالي ثلاث مرات سنة 1974 و1982 و1988م، في حين ترجمت قصة "في مستوطنة

العقاب" مرتين سنة 1979 و 1991م، وذلك على حساب قصص لم تحظ بالترجمة أو الدراسة على حد سواء.

وتعود أقدم قراءة للنص الكافكاوي ولشخصية كافكا، إلى ما كان من مبادرة الدكتور طه حسين¹ للتعريف بشخصية الكاتب التشيكي كافكا في إطلالة موجزة عن حياته في تفاعلها مع محيطه، فالأديب كافكا قد تشكلت نفسيته من تضافر عناصر عديدة تلخصت في لا تواصله مع والده، وفراغه الروحي، وفشله في الاندماج في المجتمع الإنساني وتكون آخر حلقة في سلسلة معاناة كافكا، مرضه الذي أورثه عجزاً ونقصاً حال دون زواجه، ويعرض الدكتور "طه حسين" إلى أدب كافكا، والذي لاقى ذيوعاً في أوروبا الغربية دون الشرقية لتعصب الألمان هتلريون؛ ونتيجة لتلك الأجواء السوداء التي كان يرسمها والتي لم تكن بعيدة عن ظروف الحياة الأوروبية.

إن تلك الأجواء السوداء تلف أدب كافكا بمسحة من الغموض يعجز القارئ عن الوصول إلى كنهها لأنها تضرب بعيداً لتفلت من القارئ، لأنها وببساطة تتركز على فلسفة عميقة تضرب عميقاً في حقيقة وجود الإنسان.

ثم يصل الدكتور "طه حسين" إلى تقديم بعض أعماله بل أشهرها: المحاكمة، القصر، أمريكا، المسخ، ليعرف القارئ ببعض نتاج كافكا وللتمثيل على ما ورد من الحديث عن خصوصية الكتابة عند كافكا.

وربما كانت خصوصية هذا المقال الذي ورد عن الدكتور "طه حسين" في أنه يحاول التقريب بين شخصية كافكا وشخصية سبق له أن درسها ألا وهي: الفيلسوف الشاعر "أبو العلاء المعري"، حيث يجد في قصص كافكا المذكورة آنفاً تقارباً مع ما جاء به المعري في لزومياته وكتاب "الفصول والغايات"، وذلك في رغبة كليهما في

¹ - حسين (طه)، المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين، المجلد السادس، النقد والأدب، ج 2، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1981م.

الوصول إلى معرفة العلة من وراء كل تلك القوانين التي تحكم العالم، وفي هذا ما ينتج مراجعة لعلاقة الإنسان بغيره، لذلك سيلتقي كافكا مع المعري في إصراره الحديث عن الموت، وضيقة الحياة، حتى مثل لدى القارئ أدبا أسودا تعرض للحرق والإتلاف خشية أن يحدث أثرا سلبيا على المجتمع. إلا أن ذلك لن يمنع أن يكون أدب كافكا حصبا قويا ترك آثارا وبصمات على الآداب العالمية كما مثل أدب المعري تراثا معرفيا. لقد جاء تقديمي لمقال الدكتور "طه حسين" من باب التقدير لشخص الدكتور فضلا عن كون مقاله لا يحمل تاريخ تأليفه وإن نشر في سلسلة الأعمال الكاملة الصادرة عام 1981م، إلا أن ذلك لا ينفي كونه أقدم بكثير -لأن الدكتور قد توفي سنة 1971م- ولهذا يكون الدكتور عبد الرحمن بدوي قد وافانا بأقدم إسهام في مجال دراسة شخص كافكا¹، وتكمن خصوصية ما جاء به الدكتور عبد الرحمن بدوي في أن مقاله مقدمة لتحقيق كتاب "الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي" من جزئه الأول الصادر سنة 1950م.

وقد جاء الحديث عن الكاتب كافكا من باب المقارنة والتشابه بينت شخصية مؤلف "الإشارات الإلهية" أبو حيان التوحيدي وشخصية كافكا، حيث تعقب عبد الرحمن بدوي نقاط تقارب في وجهات النظر والسيرورة والفعل بين كافكا وأبي حيان، نوردها موجزة.

فكافكا عاش توترا في علاقته مع والده أورث رفضا من قبل الوالد لمنحى كافكا الأدبي الذي تناقض مع رغبته في أن يكون تاجرا، في حين نجد أبا حيان يجهل نسبه فيشتغل بصناعة الأدب إلا أنه لا يحصل منها على ما يريده من الاحترام والتقدير، وربما كان في انتماء كافكا إلى اليهود هذه الفئة المشردة، ما يجعله يقترب من

¹ - التوحيدي (أبو حيان)، الإشارات الإلهية، ج1، تح: عبد الرحمن بدوي، القاهرة، مطبعة جامعة فؤاد الأول، 1950م.

أبي حيان المتشرد الذي يعزى أصله إلى الفرس لذلك جاء رفض كليهما للمجتمع وتولد عنه إحساس بالغربة، تلك مثلها فشل كافكا في الاقتراح بخطيبته "فليس باور" ثم كانت إصابته بالسل التي عززت ميله إلى الوحدة. وقابل ذلك عند أبي حيان طلبه مناصب في الدولة وحرمانه الوصول إليها دون غيره ممن هم أقل شأنًا منه، فناله من انعدام القريب وتنكر الصاحب ما جعله ينطوي على نفسه ولا يجد غير قلمه شافيا. فتمائل تصريح كافكا بالغربة في كنف الأهل غربة أكثر مرارة عند أبي حيان التوحيدي، وربما كان في العودة إلى تصريحات كلا الكاتبين ما يحدد دقة هذه الغربة.

وهناك مسألة أخرى تربط كافكا بصاحبه، وهي عدم تسليمه لقوة علوية إلا في فترة متأخرة من حياته، في حين اتهم أبو حيان في دينه وعقيدته واعتبر زنديقا وإن استشف من كتاباته إيمانه بسلطة عليا فوق الكون.

وقد يكون في وصية كافكا بإتلاف ما كتبه وأبقاه بعده، ما يماثله من إحراق أبي حيان لكتبه وغسلها بالماء، وفي تلك الرغبة المشتركة عامل آخر على التقارب والألفة بينهما، وإن تعددت الأسباب التي أوردها أبو حيان إلا أن ما جمع بين رغبتهما هو إخفاق كليهما في الوصول إلى مبتغاه (المجد عند أبي حيان) - واليأس من فرط مواجهة النفس عند كافكا، فظهر نتاجهما دون طائل أو قيمة فحق عندهما إتلافه.

وتطالعنا سنوات السبعينات بخصوصية في قراءة النص الكافكاوي وتكون دراسة الدكتور فيصل دراج ومحمود موعد¹ بأول دراسة إيديولوجية لأدب كافكا، لتتوالى في الفترى نفسها، مبادرات - وإن كانت قليلة على حد علمنا - للفصل في سؤال: هل كان كافكا أدبيا صهيونيا، وتجيء محاولة الباحثين "محاولة قراءة في الفكر

¹ - د. دراج (فيصل)، موعد (محمود)، محاولة قراءة في الفكر السياسي لكافكا، الموقف الأدبي، بيروت، ع 6، 1974م، ص ص 128-133.

السياسي لكافكا"، وهي نفسها عنوان المقال الذي يصدر عن مجلة الموقف الأدبي، في العدد نفسه الذي يضم ترجمة الباحثين لقصة "بنات آوى وعرب"، ولأننا سنعرض لاحقا إلى الدراسة في مجال قراءة نص "بنات آوى وعرب"، نرجئ مسألة الخوض فيها إلى حينها.

فتشهد سنة 1979م ظهور مقالين يخصان بالدراسة الأديب كافكا أحدهما للكاتبة بديعة أمين، تصدره بمجلة آفاق عربية العراقية والمعنون "كافكا والكتاب العرب وحديث عن بنات آوى وعرب"¹ تطرح فيه إشكالية قراءة نص "بنات آوى وعرب" محاولة الوصول إلى قراءة خاصة للنص.

أما المقال الثاني، فيصدر بمجلة الأقاليم في عددها الخاص بالأدب الصهيوني، لصاحبه كاظم سعد الدين، والذي يأخذ على عاتقه مهمة حل رموز كافكا الصهيونية²، وبذلك يكون سلسلة من المحاولات لكشف توجهات كافكا الصهيونية بحثا وتنقيا في حياته الخاصة، يومياته وأعماله، ويكون المقال استعراضا لأكثر القصص لبسا وإثارة لمختلف القراءات.

وتتوالى الدراسات والتي تتفاوت في الكم الورقي والأهمية نسجها حسب تعاقبها زمنيا، حيث تطالعنا دار مؤسسة المعارف للطباعة والنشر سنة 1982م، بإصدار جديد لمؤلفه الدكتور مجدي وهبة الموسم "كافكا: مأساته وأعماله"، يظهر فيه كافكا، الكاتب اليهودي الذي عاش صراعا بين حياته الخاصة وأدبه، نلمس فيه تأثر الكاتب بالبيوغرافيات الغربية، وبيوغرافية Klaus Wagenbach بالذات، ويظهر ذلك من: تشابه في لون الغلاف والذي يحمل صورة لكافكا مع كلبه،

¹ - أمين (بديعة)، كافكا والكتاب العرب وحديث عن بنات آوى وعرب، آفاق عربية، بغداد، س 5، ع 4، 1979م، ص ص 13-17.

² - سعد الدين (كاظم)، حل رموز كافكا الصهيونية، الأقاليم، بغداد، ع 9، 1979م، ص ص 55-66.

واستعانة مؤلفه بالصور ومقاطع من يوميات واعترافات كافكا لتأييد أفكاره، فيظهر الكتاب في محتواه وإخراجه شبيهاً في الكثير بكتاب Klaus Wagenbach البيوغرافي.

وتعزز الكاتبة بديعة أمين سنة 1983م، دراساتها لأدب كافكا ممثلاً بقصة "بنات آوى وعرب"، بدراسة مستفيضة¹ محاولة الإجابة عن تساؤل طالما شغل الدارس العربي وحدد مسارا لقراءة النص الكافكاوي: "هل ينبغي إحراق كافكا؟". وللإجابة عن هذا السؤال تدرس الكاتبة شخصية كافكا وتوجهاته وبعض أعماله مع ملحق ضم ترجمة لقصتي "تحريات كلب" و"البحر" وتكون دراسة بديعة أمين فيما نحسب أكثر الدراسات إفاضة وأغزرها ورقاً في باب معالجة النص الكافكاوي والشخصية الكافكاوية.

ويكتفي الدارس كامل يوسف حسين في مقدمة ترجمته لقصة "تحريات كلب" سنة 1986م² بالإشارة إلى مسألة تعذر تحديد موقف عربي من أدب كافكا علماً أن ما وصل من نتاج كافكا الأدبي لا يمثل غير جزء بسيط من تراث ضخم ضم 16 مجلداً لذلك يصعب الرد على صهينة المکتوب الكافكاوي من طرف الصهيونية. ويكون في عنوان دراسة الدكتور عبده عبود، "القصة الألمانية الحديثة في ضوء ترجمتها إلى العربية: دراسة نقدية ونصوص" ما يشي بدور هذه الدراسة ونوع إسهامها في التعريف بكافكا وإنتاجه الأدبي، فعبد عبود يعرض لاستقبال الأدب الألماني في الوطن العربي ترجمة ويقدم منتخبات مترجمة عن الأدب الألماني، ويفرد لكافكا مجالا يدرس فيه بعض نصوصه مترجمة، مع مراجعة لهذه الترجمات تبين عن أخطائها الأسلوبية ومدى مطابقتها للأصل الألماني، وقد وقع اختياره على خمس نصوص

¹ - أمين (بديعة)، هب ينبغي إحراق كافكا؟ بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار المهدي، 1983م.

² - كافكا (فرانز)، تحريات كلب، تر: كامل يوسف حسين، بيروت، دار ابن زيدون، دار الوسام، 1986م.

كافكاوية شهيرة: "المسخ Die Verwandlung"، "الحكم Das Urteil"، "بنات آوى وعرب Schakkale und Araber"، "تخريات كلب In der"، "Forschungen eines Hundes"، "في مستوطنة العقاب Strafkolonie".

ويعمد الدارس إلى المقارنة بين ترجمتين مختلفتين في محاولة لحصر أخطاء في المعنى والصياغة ويطرح ترجمة بديلة.

إلا أننا سنقف عند نصوص بعينها كان لترجمتها أثر في توجيه الاستقبال العربي لنصوص كافكا، وهي "بنات آوى وعرب"، "تخريات كلب"، "في مستوطنة العقاب"، ولا إمكانية لدينا للإفاضة في الحديث عن ترجمة هذه الأعمال كلها، بل نخص بالذكر قصة "بنات آوى وعرب" نصنا للدراسة¹.

فقصة "بنات آوى وعرب" ترجمت ثلاث مرات: مرتين عن لغة وسيطة (الفرنسية): ترجمة د. فيصل دراج ومحمود موعد 1974م، ترجمة حنا إلياس 1988م.

أما الترجمة الثانية فترجمة عن الأصل الألماني لصالح حاتم 1982م، والقاسم المشترك بينهما هو أنها: ترجمات لا تخلو من أغراض سبتاسية، فكانت القصة شاهدا على صهيونية كافكا. بينما دل توالي الترجمات على عدم تناسق في العمل الترجمي. ومما يعاب على الترجمة عن لغة وسيطة (الفرنسية) أنها قد أورثت النص أخطاء في الأسلوب وتحريفا في الدلالة، مع إغفال المترجمين (د. فيصل دراج ومحمود موعد) لبعض الكلمات الدالة مما جعل الترجمة تظهر مشوهة، فضلا عن كون المترجمين لم

¹ - للوقوف على نقاط حساسة تعرض لها الكاتب في مجال ترجمة النص الكافكاوي. انظر مؤلفه: القصة الألمانية الحديثة في ضوء ترجمتها إلى العربية: دراسة نقدية ونصوص، ص ص 94-142.

يكونا من المتخصصين بل هي أول ترجمة قاما بها ولم يكن الغرض منها التعريف بالنص الأدبي.

أما ترجمة صلاح حاتم عن اللغة الألمانية فترجمة تفني بالغرض المطلوب وتحقق الغرض من الترجمة وهو تقديم النص الأدبي للقارئ العربي وإن كانت لا تخلو من أخطاء.

إلى جانب قراءة في مختلف الترجمات، يرصد الدكتور عبده عبود جدولا للترجمات العربية لنصوص كافكا في مجال القصة، وقد أفرد كتابا ماثلا لدراسة استقبال الرواية الألمانية في الوطن العربي والذي لم يكن لي حظ اقتنائه.

وبعيدا عن دراسة أعمال كافكا، يعرض الكاتب الدكتور عبد الحميد شاكر 1998م في مؤلفه "الأدب والجنون"¹ بالدراسة لشخصيتين أدبيتين "بلزاك Balzac" و"كافكا Kafka"، ثم يقارن بين الشخصيتين، بين انبساطية بلزاك وانطوائية كافكا، حيث تمثل كلا الشخصيتين حالة نفسية وإن كانتا على طريقي نقيض.

فعلى غرار الدراسات النفسية، يقابل الدارس اعترافات كافكا في يومياته ورسائله بالسلوكات المرضية الفصامية التي يدرسها علم النفس الإكلينيكي.

ويكون إسهام الدكتور "مرتاض عبد المالك" تقنيا، في دراسة عن ظهور الرواية الجديدة² ومختلف التيارات والأحداث التي مهدت نشأتها فتبلورها، ويكون كافكا وإبداعه الروائي عاملا لا يقل قيمة وأهمية عن مختلف العوامل التي كانت بادرة تحديد في عالم الرواية وبذرة طرحت مرحلة متطورة في هذا العالم، ففي عنصر الشخصية مثلا

¹ - د. شاكر (عبد الحميد)، الأدب والجنون، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م، صص 103-119.

² - مرتاض (عبد المالك)، أسس البناء السرد في الرواية الجديدة، مجلة Imago، الجزائر، ع 1، 1998م، صص 37-03.

تظهر ملامح التحول التي كانت بذرة مع شخصية في رواية "القصر"، لتأخذ أبعادها الجديدة مع الرواية الجديدة.

ويبقى النص الكافكاوي يشغل الدرس العربي، سواء خص شخصية كافكا أم أدبه وفكره، لذلك سيختلف إسهام "نسليم مجلي": "فرانتس كافكا"¹. عن مقال "حسن حميد": "كافكا الجرافة اليهودية الغامضة"². فإذا كان "نسليم مجلي" يكتفي بتلخيص دراسة "رونالد جراي" عن شخصية كافكا وأدبه في مؤلفه "فرانتس كافكا"، نتابع مع "حسن حميد" مغامرة جديدة للبحث في صهيونية كافكا اعتماداً على رسائل كافكا خاصة.

لذلك سيكون "نسليم مجلي" قد اختصر دراسة نقدية، تطرق فيها إلى شهرة كافكا وذيوع صيته، ومكانته في الأدب العالمي وتأثيره في الأدباء الأجانب (الغريون خصوصاً)، وقارن بين "كافكا" و"إدغار آلان بو"، وبين "كافكا" و"تولستوي"، ليحدد طبيعة كافكا المستسلمة للقوى المدمرة للإنسان؛ ويذكر من باب الملاحظة لا غير أن كافكا، وإن كان قد تعاطف مع الفكر الصهيوني إلا أنه لم يعط ولائه لا للصهيونية ولا للمسيحية؛ هذه المسيحية التي جسدها الكنيسة والشخصيات المسيحية في رواياته وقصصه مع غياب الشخصية اليهودية.

أما "حسن حميد"، في حديثه عن الجرافة اليهودية فيبحث عن محل لليهودية كافكا في كتاباته، فإن كان يعرض لوجهات نظر ثلاث تبحث في يهودية كافكا: إحداها تجدد في كتاباته مرجعية يهودية، بينما تنفي عنه ذلك وجهة نظر ثانية، لتقف ثالثة موقفاً حيادياً، فإن الدارس حسن حميد يرفضها كلها، ليعمد إلى إعادة دراسة

¹ - مجلي (نسليم)، فرانتس كافكا، العربي، الكويت، ع 487، 2000م، ص ص 200-205.

² - حميد (حسن)، البقع الأرجوانية في الرواية الغربية: جويس، دوستوفسكي، سرفنتس، بروست، كافكا: دراسة، سوريا، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999م، ص ص 170-197.

لكافكا في نصوصه الأدبية، مع التركيز على أن النص لا يمكن أن يقرأ دون معرفة الحياة صاحبه في كل تفاصيله، ويدلل على قراءته بـ "رسالة إلى الوالد" و "رسائل إلى فليس".

أما ما يخص "رسالة إلى الوالد" فتكون مجالا لإثارة موضوع تلك العلاقة المشقة مع الوالد والتي كانت إحدى مسبباتها: عدم تعمق الوالد في معرفته للدين اليهودي فكانت مجالا لمعاناة كافكا لوالده.

فربما كانت قصة "المسخ" صورة أدبية لبليوغرافيا "رسالة إلى الوالد"، التي كان كافكا يسلط فيها الضوء على حياة اليهود في ظل السلطة الأبوية اليهودية، فنجد حينها الدارس يعكس صورة من صور المقاومة اليهودية للغيتو الأوروبي من أجل النفاذ إلى أرض الميعاد¹. فكان "غريغور سامسا" بطل قصة "المسخ" تمثيلا لليهود الذين يجب أن يثبتوا حضورهم وشخصيتهم أمام السلطة الأبوية البطريكية للمجتمع الأوروبي، حتى لا يكون مصيرهم يوما الكس مثل شخصية "غريغو سامسا" في قصة "المسخ"، فيذكر الدارس لتعزيز وجهة نظره اعترافا لكافكا يجعل من قصة "المسخ" راية الرفض الأولى للواقع الاجتماعي المعيش من قبل الشخصية اليهودية في المجتمع الأوروبي².

ولأن الدارس يصر على أن يكون البحث في يهودية كافكا يجعل من نص كافكا مرجعية له، حتى لا يضطر إلى البحث في ملابسات الأمور كخلفية، مثل انتشار البيوت اليهودية وتألق الصهيونية ومزامنة كافكا لذلك؛ نجد (الدارس) يبحث في ضحد فكرة حيادية كافكا أو عدوانيته للفكر الصهيوني، وتكون وسيلته إلى ذلك مواقف كافكا ذاته ومشاركته في المؤتمرات الصهيونية فضلا عن تصريحاته، وتكون عدته

¹ - حميد (حسن)، البقع الأرجوانية في الرواية الغربية، ...، ص 173.

² - حميد (حسن)، المرجع السابق، ص 185.

رسائله إلى خطيبته "فليس باور"، والتي ييدي فيها اهتمامه ببيت الشعب اليهودي¹ حيث كانت "فليس باور" إحدى المتطوعات، هذا البيت الذي أصبح نقطة لقاء بينهما.

فيظهر من رسائله تشجيعه لـ "فليس باور" على الإخلاص في قضيتها ويدعوها إلى الاستعانة بغيرها من الفتيات واستمالتهن إلى الانخراط في البيت اليهودي² بل بنحده يقرن خطيبته "فليس Felice" بالوطن، حيث يصرح في إحدى رسائله: "إن كتابة الرسائل إليك تغمري بسرور لا أستطيع أن أعبر عنه بعدة صفحات، إنكما أخيرا معا، أنت والوطن"³.

هذا الوطن الذي مثل لدى الدارس، فلسطين التي أمل كافكا أن يزورها مع "فليس باور" أول لقاءهما، وتكررت رغبته. تلك الرغبة التي جاءت سابقة لوعده "بلفور". مما يدعو الدارس إلى الاعتقاد بأن كافكا كان يؤمن بما جاء في الدييات الصهيونية فيما يخص الاعتقاد بالوطن "فلسطين" وتصريحه الكتابة لبيت الشعب اليهودي واعتقاده ضرورة الاهتمام بالاجتماعي دون المساس بالمعتقد أو التقليل من أهميته.

وقد تعد هذه الدراسة أول نص يشير إلى بحث النقاد في مسألة إمكانية نسبة بعض نصوص كافكا إلى ماكس بروت، المكلف بنشر أعمال كافكا بعد وفاته، وقد يكون من دواعي النقاد إلى البحث في ذلك: فقدان هذه النصوص لروح كافكا الإبداعية وإقحامها في إيديولوجية لم يكن يقبلها كافكا⁴. ونص "بنات آوى وعرب" -خلافا لما يورده الدارس من تقديم لكلمة عرب على بنات آوى- يعد نموذجا يقف

¹ - المرجع نفسه، ص 192.

² - نفسه، ص 192.

³ - نفسه، ص 192.

⁴ - نفسه، ص 189.

عنده الدارس على أنه نص يتحدث عن الصراع العربي-الإسرائيلي والذي لم يكن قد تبلور إلا بعد وفاة كافكا بعقد من الزمن على رأي الدارس. علما أن ماكس بروت كان متشعبا بالفكر الصهيوني، فهل يكون قد استغل شهرة كافكا وتكالب دور النشر على تلقف كل نتاجات كافكا، لنشر أعماله الخاصة وإعلانها بين الناس؟!

قد نكون قد أفضنا في الحديث عن هذا المقال بالذات، وعذرنا في ذلك تلك الأفكار التي لم يسبق لنا الوقوف عليها فيما عرضنا له من مقالات وإسهامات الدارسين العرب، فأحببنا أن نطلع القارئ عليها.

وتعتبر القراءة الحداثية للنص الكافكاوي إحدى القراءات التي تقتحم مجال التأويل عند قراءة النص، ويكون في قراءة "برنارد ترليشوف"، "رفض التراجيديا في حادثة كافكا اللاهوتية"، وفي ترجمتها إلى اللغة العربية أمودجا¹. حيث تمثل إبداعات كافكا أمودجا لمأزق الحضارة المعاصرة، وتعبر أعماله عن اليأس والعدمية، واصفة لنا التوتر الكامن في المستويات البسيطة للخبرة الإنسانية، فكافكا نشأ داخل نزعة شكية بالغة التطرف حول قدرة الإنسان على مواجهة وتلبية حاجاته، والتي تعد ثقلا عند شخصياته يكون الانتحار هو الحل الوحيد لها.

إن وعي شخصيات كافكا بضرورة الحرية هو أصل كل الخوف والقلق والألم، مما يجعلها لا تظهر قوية سادية ولا عاجزة ضعيفة، فضرورة الفعل يجعلها قلقلة خائفة. إن تراجيديا كافكا ليست هي ذلك الإنسان الذي وقع فريسة القدر ولكنها تتجسد عبر عدم إرادة الإنسان لأن يستحوذ على حريته ويمتلكها في هذا العالم المغترب، لذلك نجد كافكا يصور لنا في أعماله الروائية والقصصية صراع الحياة الذي يرغم على الفعل مع مواجهة كل الشكوك وعدم اليقين والأخطار المحدقة بنا.

¹ - ترليشوف (برنارد)، "رفض التراجيديا في حادثة كافكا اللاهوتية"، تر: إيمان فؤاد، مجلة نزوى، سلطنة عمان، مؤسسة عمان الصحافة والأبناء والنشر والإعلان، ع 27، 2001م، ص ص 93-102.

ويستعين كافكا من قراءته المتكررة للكتاب المقدس لتظهر أعماله تجسيدا لأفكاره، ف "المحاكمة" مثلا تجسد فكرة العود الأبدي للطرد من وهم اللجنة عند كافكا، كما تعرض للعلاقة بين الإنسان والقانون، فيظهر فيها العالم الاجتماعي مجرد واجهة هشة تخفي وراءها هاوية الوجود الإنساني ومأزقه، في حين نجد رواية "أمريكا" تجسد وهم اللجنة وإمكانية وجودها على الأرض، لذلك تظهر عامرة بالتهكم والكوميديا.

إلا أنه لا يمكن الاعتقاد أن كافكا (من وراء مصير شخصياته) يؤكد على استحالة الأمل في الوجود، ففي قصة "بحوث كلب" نجد كافكا يؤمن بصلاحية البحث الإنساني عن السلام، إن بطل القصة على الرغم من طرحه أسئلة لا يجد لها أجوبة إلا أنه لا يتهرب من طرحها. وتمثل القصة رؤية ناضجة للوضع الإنساني والوجود حيث تسكت أصوات الشك حول إمكانياتنا في النجاح بوضع إرادتنا موضع التنفيذ بشكل دائم¹.

وأحدث ما وصلنا في مجال الرصد لحضور كافكا في العالم العربي، كتاب: عصور الأدب الألماني: تحولات الواقع ومسارات التجديد، لمؤلفيه "بربارا باومان Barbara Baumann" و"بريجيتا أوريله Brigitte Oberle"، في ترجمة العربية لسنة 2002م².

فالكاتب مسح لمختلف عصور الأدب الألماني إلى سنوات التسعينات، وهو إخراج للترجمة العربية للنص الألماني في عدد خاص من سلسلة (عالم المعرفة). ويكون تقديمه للكاتب كافكا مختصرا، يصنف فيه الأديب ضمن الكتاب التعبيريين، وتعتبر

¹ - لقد اضطررنا لغة النص، والتي وجدناها معقدة بعض الشيء، إلى النقل عن النص مقاطع لاختصاره.

² - باومان (باربارا)، أو برله (بريجيتا)، عصور الأدب الألماني: تحولات الواقع ومسارات التجديد، تر: هبة شريف، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2002م، (عالم المعرفة؛ 278).

قصصه "الحكم" (1912م)، و"المسخ" (1912م)، و"في مستوطنة العقاب" (1919م)، من أشهر الأعمال الأدبية التعبيرية إلى جانب مشاهير الأدب التعبيري الألماني "هرمان هيس Hermann Hesse". كما يقدم الكتاب مختصراً عن حياة الأديب كافكا وأشهر أعماله، والتي لم تعرف إلا بعد وفاته، راسمة ضياع الإنسان ووحده الذي جسده روايتي "القضية" أو "المحاكمة" و"القصر".

وقد يعذرنا القارئ إن نحن قد أحرنا ذكر ترجمة الدكتور "سامي الجندي" لمسرحية "القضية"¹ لمؤلفيها "أندريه جيد" و"لويس بارو" المستوحاة من رواية "المحاكمة" لفرانتس كافكا، وفي هذا التأخير ما يشير إلى عدم توفر النسخة على سنة للنشر، لذلك فضلنا أن نرجئ التطرق إليها في آخر عرضنا لما خص به الناقد العربي الأديب كافكا من دراسة ونقد.

الترجمة العربية لمسرحية "القضية" مميزة، وإن كانت ترجمة لعمل مستوحى من الأدب الكافكاوي، إلا أن المترجم سيخص الأديب كافكا بترجمة لمقدمة أندريه جيد حول فكرة اقتباس مسرحية القضية وتعاونه مع الممثل والأديب جان لويس بارو، فضلاً عن أنه سيخص الأديب كافكا بمحاولة خاصة لرسم عالمه الحزين والذي يجد أن كسبه لا تعزى إلى التربية الصارمة التي تلقاها كافكا فقط بل تتضافر عوامل خفية غامضة قد لا يكتشفها النقد، لأن ما تركه كافكا من رسائل ويوميات أقل من يسعفنا، مع الإشارة إلى أن رسالته إلى أبيه هي أهم مصدر، والتي ترسم حدود تلك السلطة التي كان يمثلها الأب وجسدتها كتابات كافكا.

وأخيراً يجب أن لا نغفل عن الإشارة إلى أن الدراسات العربية، إن لم تكن كلها، كان أكثرها قد وقع في أخطاء عند ترتيب الأحداث والسنوات عند التعرض

¹ - جيد (أندريه)، بارو (جان لويس)، القضية: مسرحية مقتبسة عن كافكا، تر: د. سامي الجندي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (د.ت).

إلى بيوغرافيا كافكا والسنوات الهامة في حياته: منها مسرحية "القضية" ترجمة الدكتور سامي الجندي، "كافكا: مأساته وأعماله" مجدي وهبة، "تحريرات كلب" ترجمة كامل حسين يوسف.

وقد يكون في مساءلة شبكة الانترنت ما يجعلنا نقف على عشرات الدراسات النقدية في مجال رصد حضور كافكا الأدبي وأثره في أدباء غربيين فموقع الانترنت لاتحاد الكتاب العرب www.awu-dam.com، والذي يضم مجالات: الموقف الأدبي، والآداب الأجنبية، والأسبوع الأدبي، يرصد هذا الموقع لنا ثلاثين دراسة أدبية تشير إلى الأديب كافكا وأثره.

كما تخص مجلة "البحرين الثقافية" الأديب كافكا في الموقع www.al-thaqafia.com بمقالين، أحدهما ترجمة لخمس قصص قصيرة لكافكا، في عددها الخامس من السنة الثانية لعام 1995م، ص 64، وتطرح قراءة خاصة لعبد الباقي يوسف حول "فكرة الموت في كتابات فرانز كافكا" في عددها 27، السنة السابعة، لعام 2000م، ص 81. وتجدد بنا الإشارة إلى أن الموقع لا يمكن من الإطلاع على محتوى المقالات، بل يقدم عرضاً، يضم عناوين المقالات في فهرسها. وعلى الرغم من ذلك تبقى شبكة الانترنت إحدى أهم الوسائل التي تمكن الباحث من جمع الببليوغرافيا.

وقد تكون إشارتها إلى بعض المجالات من باب التمثيل، ويبقى المجال رحباً للبحث في إسهام غيرها من المجالات، وربما تبادر إلى الذهن، خلافاً لما لوحظ مراراً من أن حضور كافكا عربياً كان محتشماً، من أن الدرس العربي قد خص كافكا الأديب والإنسان بحظ وافر من الاهتمام والمتابعة، إلا أن ما ذكر من دراسات لا يفي بالغرض قياساً بتلك الخطوة التي لقها في الآداب العالمية فكانت كتاباته سمة لبداية القرن العشرين، ويكون عندها ما خصه به الناقد العربي من دراسة إسهاماً متواضعاً، وربما أن الأوان لظهور دارسين مختصين من أمثال الدراسة Marthe Robert

المرجمة والباحثة في أدب كافكا، وإعادة قراءة الأدب الكافكاوي من منظور جديد على أن الأديب لا يكتب أدبا منمطا يقاس على غيره، بل خصوصية النص الكافكاوي تفرض منهجا وخصوصية في الطرح.

ج- كافكا مؤثرا:

إن قلة الترجمة عن كافكا لا تعني قصور تأثيره في الأدب العربي، فقراءة كتابات الجيل الجديد من الكتاب العرب توحى إلى تلك العوالم السوداء حيث يضع الإنسان فلا يجد نفسه، ولربما كان للفكر الوجودي -والذي اعتبر كافكا أحد وجوهه- بصمات وإياد، فقد وجد له تلامذة مخلصين في الوطن العربي، فمجلة "الآداب" البيروتية مثلا لصاحبها "سهيل إدريس" قد روجت للفكر الوجودي الذي لاقى في وضع المثقف العربي المتمزق ذي الإحباطات المتعددة تربة خصبة مكنت من ترعرع نبتة الوجودية ومن ثم حضور رموز الفكر الوجودي وأدبه من أمثال كافكا، فالإشارات إلى أدب كافكا تتكرر في أكثر من دجاسة نقدية أو إشارة عابرة في محاور صحفية.

فالقاص "زكريا تامر" -ذكر لا حصرا- في قصة "النمور في اليوم العاشر" من مجموعته القصصية التي تحمل العنوان نفسه، نتحسس من خلال قراءتنا لها حضورا لقصة "فنان الجوع" لفرانتس كافكا، حيث تتجسد فكرة امتهان الإنسان، وإن أخذت قصصه صبغة عربية ترسم مأساة الإنسان العربي مثل قصة "في ليلة من الليالي" على سبيل المثال، إلا أن المجموعة القصصية كلها تستحق أن يقف القارئ عندها قراءة نقدية متأنية مقارنة وليس في المقام مقامنا هذا ما يستحق بذلك.

وتبقى رواية "في المنفى" للكاتب جورج سالم مثالا يترك بصماته الجلية ويجسد تأثير النص الكافكاوي في المكتوب العربي. حيث نجد في الرواية مجالا واسعا للمقارنة مع رواية "الحاكمة" لفرانتس كاتفكا وعلى مستويات متعددة.

ففي المستوى الفكري تلتقي الروايتان حيث تجعل من مفهوم الخطيئة الأصلية والبراءة والعذاب الإنساني والحتمية اتلمفروضة¹ ... موضوعا لها. هذا من حيث المضمون والأفكار. أما العنصر الأساس في الروايتين فهو شخصية المحكوم عليه، المعلم في رواية "في المنفى" وشخصية "جوزيف K" في رواية "المحاكمة"، اللذين يتشابهان في مواطن عديدة.

- إيقاف كلا البطلين دون سابق إنذار.
- براءة المتهمين مع ضرورة الإلحاح في إدانتها، ف "Joseph K" يلقي عليه القبض دون تهمة واضحة معروفة، أما "المعلم" في رواية "في المنفى" فيتهم بقتل أحد تلامذته غرقا فقط لأنه سار معه في يوم من الأيام بمحاذاة النهر.
- مواجهة كلا البطلين للقضاء وأجهزته.
- وأخيرا، إدانة كلا البطلين والحكم عليهما بالقتل في أبشع صورة.

مع تفاصيل كثيرة لا مجال للخوض فيها، وإن كان ما أورده الدكتور حسام الخطيب من تفاصيل حول رواية "في المنفى" تنبه إلى نقاط وتفاصيل مشتركة مع رواية "القصر" لكافكا².

وقد يكون لتخصص الأدب المقارن كلمته التي تقال في مجال التحسس وتحديد أوجه التشابه والتأثير والتأثر بين أدب كافكا وأدب الجيل الجديد من الأدباء العرب. فغياب النص الكافكاوي النسبي ترجمة ونقدا يقابله حضور غير مباشر من خلال الأدب العربي مؤثرا فيه، فكافكا حاضر في الكتابة الأدبية العربية، والقارئ

¹ - الخطيب (حسام)، سبل المؤثرات الأجنبية واشكالها في القصة السورية، دراسات تطبيقية في الأدب المقارن، دمشق، 1974م، ص 131.

² - د. الخطيب (حسام)، المرجع السابق، ص ص 127-136.

العربي الذي يحتك بالنص العربي الحديث لا محالة متلق للخطاب الكافكاوي سواء تعلق الأمر بالموضوعة (التيمة) أم بالشكل الفني وتقنياته.

فتيمة "البحث عن الغائب" والتي جسدها شخصية (K) في بحثها عن العدالة الغائبة أو الحقيقة في مختلف القراءات على تعددها يمكن تحسسها في روايات وقصص عربية عديدة، يتفضل الدارس "فاضل تامر" بالعرض لها، كرواية "الطريق" لنجيب محفوظ، ورواية "البحث عن وليد مسعود" لجبرا إبراهيم جبرا ورواية "المخاض" لغائب طعمة فرمان¹.

أما عالم القصة فيشهد قصصية كثيرة تضيع في متاهة البحث حيث تأخذ تأويلات متعددة، مع الملاحظة أن التيمة كانت محل اهتمام القصاصين العراقيين منذ الخمسينات، وإن لم يسع المجال عرض كل القصص في هذا المقام لكثرتها، يكون في قصة "الرجل الصغير" للقصص "عبد الملك نوري" من مجموعته القصصية "نشيد الأرض" أنموذجا، حيث يبحث البطل عن بيت أخته دون جدوى ويأخذ هذا البحث منحى كابوسيا²، يدخل البطل فيه في متاهة يأخذ فيها العالم رؤيا كابوسية.

ونجد في قصص عبد الحميد أحمد -من الإمارات العربية-، خاصة في نتاجاته القصصية الحديثة، أنموذجا لتيمة كانت عاملا مشتركا بين كتابات الجيل الجديد من الكتاب العرب، والتي فرضتها ظروف أقل ما يقال عنها هو أنها كانت قاسية على المثقف العربي فأفرزت خطابات أدبية تكتب عن الاغتراب والاستيلاء.

إن قصصا مثل "الطائر الغمري"، و"الصدى" و"نسمة هواء طائشة" و"غواية" من المجموعة القصصية "كلنا نحب البحر" للكاتب الإماراتي "عبد الحميد أحمد" تقدم

¹ - تامر (فاضل)، الصوت الآخر: الجوهر الحواري للخطاب الأدبي، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1992م، ص 99.

² - تامر (فاضل)، المرجع السابق، ص 100.

واقعا خارجيا كابوسيا في نزعة تعبيرية أو رمزية نلمسها في قصص الكاتب السوري زكريا تامر كما جسدها كتابات "فرانتس كافكا" قصصا وروايات، على سبيل المثال لا الحصر قصة "المسخ" وقصة "فنان الجوع"¹.

وإن كان الناقد فاضل تامر لا يعدم وسيلة للإشارة إلى نقاط التقاء أخرى بين أعمال القاص عبد الحميد أحمد وكتابات كافكا. ففي قصة "نسمة هواء طائشة" يعرض الناقد إلى تفصيل يمكن اعتباره نقطة تقاطع بين القصة وقصة "المسخ" لفرانتس كافكا، حيث تدور أحداث قصة "المسخ" حول شخصية "غريغور سامسا" الذي يستيقظ ذات يوم وقد تحول إلى حشرة ضخمة وتكون تلك بداية مأساة عائلة بأكملها، ويكون لفكرة التحول هذه انعكاسا في قصة "نسمة هواء طائشة"، حيث يؤثر واقع متأزم² في شخصية بطل هذه القصة ماسخا غياه مسخا يجعل منه يفقد صفته الآدمية ليتحول إلى صرصار.

وربما لاحظ علينا القارئ أنا قد أعرنا الجانب التيمي جانبا كبيرا من اهتمامنا في مجال بحثنا عن تأثير أدب كافكا في الأدباء العرب إلا أن عذرنا في ذلك هو أننا لم نقع على دراسات تبحث في أثر كافكا التقني في الأدب العربي المعاصر، لذلك اضطررنا إلى إغفال هذا الجانب وإن كان على مستوى من الأهمية.

¹ - نفسه، ص 181.

² - تامر (فاضل)، المرجع السابق، ص 187.

خاتمة

1. إن وضع نقطة النهاية لبحث لا يعني استنفاد القول فيه، فالأسئلة تظل مطروحة وباب الاجتهاد يظل مفتوحا على مصراعين، لا على مصراع واحد. وموضوعنا الذي حاولنا تقديم هذه المساهمة فيه ليُعد موضوعا شائكا وشائكا حقا. فكافكا ليس هو لا الشخص ولا النص الذي يسلس قيادة لأول مرتاد لحلبته، إنه أديب الغموض أديب الابتداع الذي لا يجارى في زمانه.
2. تعذر وجود بليوغرافيا الترجمات العربية للنص الكافكاوي.
3. حركة الترجمة إلى اللغة العربية لم تمس النص الكافكاوي إلا فترة متأخرة.
4. أقدم قراءة للنص الكافكاوي ولشخصية كافكا، تعود إلى ما كان من مبادرة الدكتور طه حسين للتعريف بشخصية الكاتب التشيكي كافكا في إطلالة موجزة عن حياته في تفاعلها مع محيطه.
5. تشهد سنة 1979م ظهور مقالين يخصان بالدراسة الأديب كافكا أحدهما للكاتبة بديعة أمين، تصدره بمجلة آفاق عربية العراقية والمعنون "كافكا والكتاب العرب وحديث عن بنات آوى وعرب" تطرح فيه إشكالية قراءة نص "بنات آوى وعرب" محاولة الوصول إلى قراءة خاصة للنص.
6. أما المقال الثاني، فيصدر بمجلة الأقلام في عددها الخاص بالأدب الصهيوني، لصاحبه كاظم سعد الدين، والذي يأخذ على عاتقه مهمة حل رموز كافكا الصهيونية.
7. يبقى النص الكافكاوي يشغل الدرس العربي، سواء خص شخصية كافكا أم أدبه وفكره، لذلك تختلف إسهامات النقاد العرب حوله.

المصادر والمراجع

1. أمين (بديعة)، كافكا والكتاب العرب وحديث عن بنات آوى وعرب، آفاق عربية، بغداد، س 5، ع 4، 1979م.
2. أمين (بديعة)، هب ينبغي إحراق كافكا؟ بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار المهدي، 1983م.
3. باومان (باربارا)، أو برله (بريجيتا)، عصور الأدب الألماني: تحولات الواقع ومسارات التجديد، تر: هبة شريف، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، 2002م.
4. تامر (فاضل)، الصوت الآخر: الجوهر الحواري للخطاب الأدبي، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1992م.
5. تزلشوف (برنارد)، "رفض التراجيديا في حادثة كافكا اللاهوتية"، تر: ايمن فؤاد، مجلة نزوى، سلطنة عمان، مؤسسة عمان الصحافة والأبناء والنشر والإعلان، ع 27، 2001م.
6. التوحيدى (أبو حيان)، الإشارات الإلهية، ج 1، تح: عبد الرحمن بدوي، القاهرة، مطبعة جامعة فؤاد الأول، 1950م.
7. جيد (آندريه)، بارو (جان لويس)، القضية: مسرحية مقتبسة عن كافكا، تر: د. سامي الجندي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (د.ت).
8. حسين (طه)، المجموعة الكاملة لمؤلفات الدكتور طه حسين، المجلد السادس، النقد والأدب، ج 2، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1981م.
9. حميد (حسن)، البقع الأرجوانية في الرواية الغربية: جويس، دوستوفسكي، سرفنتس، بروست، كافكا: دراسة، سوريا، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1999م.

10. الخطيب (حسام)، سبل المؤثرات الأجنبية واشكالها في القصة السورية، دراسات تطبيقية في الأدب المقارن، دمشق، 1974م.
11. دراج (فيصل)، موعد (محمود)، محاولة قراءة في الفكر السياسي لكافكا، الموقف الأدبي، بيروت، ع 6، 1974م.
12. سعد الدين (كاظم)، حل رموز كافكا الصهيونية، الأقلام، بغداد، ع 9، 1979م.
13. شاكر (عبد الحميد)، الأدب والجنون، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م.
14. عبود (عبده)، القصة الألمانية الحديثة في ضوء ترجمتها إلى العربية، دراسة نقدية ونصوص، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1996م.
15. كافكا (فرانز)، تحيات كلب، تر: كامل يوسف حسين، بيروت، دار ابن زيدون، دار الوسام، 1986م.
16. مجلي (نسيم)، فرانتس كافكا، العربي للنشر، الكويت، ع 487، 2000م.
17. مرتاض (عبد المالك)، أسس البناء السردى في الرواية الجديدة، مجلة Imago، الجزائر، ع 1، 1998م.